الأكيدة فيما سوى الميدان الاقتصادي من مرافق حياتها . فالرجل الذي يدفع القرش ويلبس طربوشاً مصرياً بثمن معتدل يشعر بانه يؤدي خدمة وطنية تعود عليه هو في الوقت نفسه بفائدة كريمة . وهذه احدى فضائل التضامن في كل شيء . وهذا الشعور يجعل كل مصري يقدر أن كل خدمة يؤديها الانسان لوطنه وكل قرش يدفعه له يعود عليه وعلى أمثاله بفائدة مضاعفة لما دفع . فكما أن قرشك الذي دفعته في العام الماضي سيجعلك تلبس الطربوش تدفع ثمنه خمسة عشر قرشا بدلا من خمسين كذلك يجب أن تسأل عن كل قرش تدفعه مادا يعود عليك أو على الوطن من نفعه ؟ فاذا لم يعد بمثل هذه الفائدة المضاعفة ما لم أن الذين ائتمنوا عليه يستغلونه وأنهم لذلك غير أمناء ، وأنهم لا يقدرون معنى التضامن القومي وواجبهم ازاءه بل يقدرون فائدتهم الشخصية ناسين فائدة مواطنيهم ، ناسين بذلك فائدة الوطن ، مضحين بمصالحه في سبيل منافعهم الذاتية ، وفي سبيل وصولهم السريع الى الثروة على حساب غيرهم .

اذا صدقت رسالة مشروع القرش التي نلمسها وكانت بشيراً بتقدير المصريين لمبدأ التضامن ولوفق الحدود القومية فقد آن للمصريين أن يستبشروا حقا بمستقبل قريب تتطور فيه النظرة الى الحياة من مختلف نواحيها تطوراً محسوساً . فنظرية التضامن لا تقف عند الميدان الاقتصادي سبيل تمتد به الى ميادين النشاط جميعا ، وفي مقدمتها ميدان الانتاج الفكري والفني . ونظرية التضامن لا يحدها زمن ، بل هي تقوم على أساس أن الثروة المادية والثروة المعنوية لأمة من الامم هما جميعا ثمرة مجهود الاجيال المتعاقبة ، وأن لاهل القبور فيها نصيباً أكثر مما لاهل الدور ، وأننا جميعا وحدة متماسكة في السعي والعمل بدأت من أول الزمن ان كان للزمن أول وتستمر على الزمن ما بقي الزمن . فاذا وقر الشعور بهذا الرأي في النفوس كان من آثاره أن يحس كل بانه مدين للمجموع اكثر مما هو دائن له ، وان تضامنه مع المجموع في المجهود العائد على المجموع وعليه بالفائدة من خضوعه لسلطان الانانية الغرور . وهنالك يشعر حقا بان واجباً عليه أن يبني لا أن يهدم ، وأن يكون منتجا اكثر منه مستهلكا ؟ وأن يعمل لخير غيره عمله لخير نفسه . وهنالك تزول البغضاء من النفوس فتحل محلها المحبة وتلاشى فكرة التنافس لتقوم مقامها فكرة التعاون ويقضى في النفوس على شهوات الحقد والغيرة والغرور الكاذب لتقوم مقامها فضائل العطف والحنو والتواضع الجميل . وأنت تقدر متى صورت هذا التطور كله لنفسك أن تصور الشجاعة الجديدة التي تثمر وادينا الخصب الجميل وأن تقدر سعة الخطوات التي نخطو في سبيل الحق والخير والسعادة .

لعل شبان القرش وفتياته يوافقونني على أن هذه النوازع النفسية الجميلة تجول بخواطرهم مبهمة عند البعض اقل ابهاما عند الآخرين ولعلهم اذا خلوا الى أنفسهم وفكروا في الامر يرون أنهم لم يفتحوا عهد مصنع الطرابيش أو مصنع الصوف وكفى ، وانما هم يفتحون

مجمع اللغة العربية الملكي

لويس عوض

في عجلة باريس التي ظهرت أول يناير فصل قيم ، دقيق مستفيض عن المجمع العلمي المصري ، الذي أنشأه بونابرت في القاهرة في شهر أغسطس سنة ١٧٩٨ . تقرأه فيعجبك لفظه العذب وأسلوبه المتين ، ودقة صاحبه في البحث وعنايته بالتفصيلات ، وعنايته قبل كل شيء وبعد كل شيء وفوق كل شيء بتمجيد فرنسا وبونابرت ، وما كان لهما من أثر بعيد في احياء مصر الحديثة ، وتمهيد السبيل أمامها الى الرقي المادي ، والمعنوي جميعاً .

وربما أحسست — وأنت تقرأ هذا المقال — شيئاً من الحزن الخفي يمازج هذا الفخر الظاهر ، الذي يملأ نفس «المسيو ف . شارل لرو» كاتب هذا الفصل . لأن هذا الجهد الضئيل الخصب المعجز ، الذي أنفقه الفرنسيون أثناء اقامتهم القصيرة بمصر في أواخر القرن الثامن عشر لم يؤت الثمر الذي كان ينتظره بونابرت وأصحابه ، والذي كان الفرنسيون يودون أن يكون شيئاً غير الفخر والذكرى .

ولعلك تعلم أن هذا المجمع العلمي المصري الذي أنشيء في القاهرة منذ قرن وثلث قرن ، على نظام المجمع الفرنسي ، وسعي الى نفس الاغراض العلمية والادبية التي كان يسعى لها هذا المجمع وسعى بعد ذلك الى أغراض عملية كانت تحتاج اليها سياسة الفاتحين وادارتهم . لعلك تعلم أن هذا المجمع لا يزال قائماً الى الآن أعيد تنظيمه سنة ١٨٥٩ وهو الآن يعمل كما كان يعمل آخر القرن الثامن عشر يبحث أعضاؤه عن الرياضة والطبيعة والطب والعلوم الاقتصادية والسياسية والفنون والآداب ، ويبحث الآن كما كان يبحث من قبل عن حلول عملية لبعض

السبيل الى طور جديد يريدون أن يطبعوا به حياة وطنهم . ولعلهم يقدرون عظمة هذا الطور الجديد وعظمة ما يجب على الشباب من مجهود تنهض بعدته أجيال الشباب المتعاقبة لزيادة قوة وانماراً . ثم لعلهم يحسون أن في الحياة قرشا غير القرش المادي الذي أدفعه من جيبي . فيها القرش المعنوي والقرش الروحي الذي يعاون على اذكاء معنى التضامن الروحي في النفوس بمقدار ما يعاون القرش المادي على تحقيق معنى التضامن الوطني في الحياة الاقتصادية . هذا القرش المعنوي ، وهذا القرش الروحي ، الذي يستطيع كل مصري أن يؤديه استطاعته اداء القرش المادي — في أي ناحية يجب أن ينفق وأي مصنع يجب أن يقام كأثر من آثاره ؟ هذا ما أترك للشباب البحث فيه وبقيني أنهم مهتدون الى خير ما يثمر البحث في هذه الناحية كما اهتدوا الى خير ما أثمر البحث في ناحية القرش . ؟ وهم أقدر على تصوير التضامن المعنوي والتضامن الروحي وما يثمران ! ..

المسائل التي تمس الزراعة والري والصحة وما الى ذلك وهو يعتبر كأنه فرع من المجمع العلمي الفرنسي المستقر في باريس ولأعضائه اذا ذهبوا الى مدينة النور أن يشهدوا جلسات هذا المجمع . وهو دول كما يقولون فيه علماء يمثلون الاجانب الذين يقيمون في مصر على اختلاف جنسياتهم، وفيه مصريون . ولكن مصر لا تكاد تحسه ولا تشعر به وان اعانته الحكومة المصرية بالمال ، وان كثر ما ينشره من الكتب والمذكرات، وان أصدر نشرته في نظام واسطراد لأن لغته ليست اللغة العربية وانما هي اللغة الفرنسية غالباً والانجليزية أحياناً . ولست أدري أنشر هذا الفصل في مجلة باريس بمناسبة المرسوم الملكي الذي صدر في منتصف الشهر الماضي بانشاء المجمع الملكي للغة العربية أم هي مصادفة مطلقة ؟ أرادت أن تشتغل مجلة من أكبر المجلات الاوروبية بالمجمع العلمي المصري القديم ، في الوقت الذي تشتغل فيه الصحف المصرية والأدبية بالمجمع الملكي الجديد .

ولكن شيئاً يدعو الى التفكير على كل حال حين نقرأ الفصل الذي نشرته مجلة باريس وهو نشاط الفرنسيين واسراعهم الى انشاء هذا المجمع وفتور المصريين وابطاؤهم في انشاء مجمعهم اللغوي.

أيام قليلة لا تكاد تبلغ الخمسة كنت لأن بتكلم بونابرت في مجمعه العلمي الى بعض العلماء الفرنسيين الذين كانوا يرافقونه ويصدر اليوم أمراً بأن يجتمعوا فيضعوا له نظاماً ويرشحوا له أعضاء . ولأن يجتمع هؤلاء العلماء فيضعوا النظام ويرشحوا الأعضاء ولأن يصدر المرسوم ويعقد المجمع جلسته الأولى وما هي إلا أسابيع قليلة حتى يجمع العلماء الفرنسيون الذين كانوا مفرقين في الاسكندرية ورشيد ليأخذوا مجالسهم في مجمع القاهرة ولا يكاد يعقد المجمع جلسته الاولى حتى يبدأ البحث وتقرأ المذكرات وتنشر الرسائل وكانت المطبعة والمعامل قد أعدت من قبل وما هي إلا أعوام حتى يظهر هذا الأثر الخالد لهذا المجمع وهو كتاب وصف مصر.

أما نحن فنفكر في مجمعنا اللغوي منذ أعوام طوال ونحاول انشاءه فلا نوفق . فكرنا فيه ان صدقتنا الذاكرة في أوائل هذا القرن وقبل الحرب الكبرى وفكرنا فيه وحاولنا انشاءه أثناء الحرب وفكرنا فيه بعد الهدنة وفكرنا فيه بعد الاستقلال وأعددنا له مشروعاً ومشروعاً ومشروعاً وكان بعض هذه المشروعات يضيع فلا يهتدي اليه ، وبعضها ينام فيطيل النوم وبعضها يفر قبل أن تبعث فيه الحياة . وأخيراً وبعد التفكير والتقدير ، وبعد الذهاب والاياب، وبعد السفر والاقامة صدر المرسوم ، وقيل في البرلمان ان المجمع اللغوي قد أنشيء . وهو قد أنشيء حتماً مادام المرسوم الذي ينشئه ويحدد أغراضه ويرسم شكله وبين له خطة العمل قد صدر ونشر وتحدثت عنه الحكومة في البرلمان . ولكنه منشأ بالقوة لا بالفعل ، لأن مكانه لم يعرف وأعضاءه لم يختاروا وأبحاثه لم تنشر ، والوجود بالقوة خير من العدم على كل حال . اتفق بونابرت أيام لينشيء مجمعاً ينتج بالفعل في واد عجيب من العلم والفن والادب . وأنفقت مصر ثلاثين عاماً لتنشيء مجمعها وتنشر أبحاثها .

وشيء آخر يدعو الى التفكير حين نقرأ الفصل الذي نشرته مجلة باريس . فالمجمع المصري القديم الذي أنشأه بونابرت لم يكن مقصوراً على جنسية بعينها ، وكان فيه منذ انشائه قسيس يوناني شرقي ، وهذا المجمع لا يزال الى الآن دولياً ، لا تستطيع أمة أن تقول ان لها فيه الكثرة حتى ولا مصر التي تؤويه وتنفق عليه وتمكنه من الحياة وفضلاً عن ذلك ان مصر هذه التي تؤوي وتعد بالمال لا تستطيع أن تقول إن مجمعها المصري يعترف بلغتها على أنها اللغة الرسمية ومجمعنا اللغوي الجديد دولي أيضاً ، سيمثل فيه الشرق العربي كله ، وستمثل فيه أمم أوروبية مختلفة ، يشتغل بعض أبنائها باللغة العربية . وقد تكون اللغة العربية لغة المجمع الجديد وتديسة بين أعضائه بالفرنسية أحياناً وبالانجليزية أحياناً أخرى، وربما كانت هذه اللغة أو تلك أيسر وأدنى الى أن يفهم بعض الاعضاء بعضاً . وكذلك يكون في مصر مجمعان دوليان أحدهما على قديم والآخر لغوي جديد . وكذلك تضرب مصر للناس أحسن الامثال في الايمان بأن العلم يجب أن يكون فوق الاوطان والقوميات واللغات الخاصة !

وشيء آخر يدعو الى التفكير حين نقرأ الفصل الذي نشرته مجلة باريس ، وهو أن المجمع الذي أنشأه بونابرت كان يعقد جلساته في اتصال غريب لا يعرف أراحة ولا هدوء ، وهو الآن يعقد جلساته مرات في الشهر أثناء سنة العمل ، لا يستريح الا في الصيف حين يتفرق الاعضاء .

أما مجمعنا اللغوي الجديد فسيجتمع شهراً في العام في الشتاء أو في الربيع ، فاذا فكرت في أن المجمع العلمي المصري واحد من مجامع تعد بالعشرات . وأنه لو استراح من العمل لم يكد العلم يخسر كثيراً وأن مجمعنا اللغوي انما نشيء بالقوة سيكون يوم ينشأ بالفعل واحداً من مجامع لا تبلغ أصابع اليد الواحدة عدداً ، وأنه يريد أو يراد له أن يضع معاجم في اللغة منها العادي ومنها التاريخي وأن يجدد اصطلاحات العلوم والفنون وينشيء منها ما لم يوجد وأن يشرف بعد هذا كله على حياة الادب واللغة وصفائها . نقول اذا فكرت في هذا كله وافقتنا على أن انعقاد مجمعنا اللغوي شهراً كل عام في الشتاء أو في الربيع أقل جداً من أن يتيح له النهوض ببعض ما يطلب اليه . ولكن المجمع اللغوي قد وجد على كل حال ولو بالقوة « وماش خير من لاش » كما يقول المثل ومن يدري لعل أعضاءه لا يكادون يجتمعون لاول مرة حتى تشرب قلوب بعضهم حب بعض ويعز كل منهم على صاحبه ويكرم في نفسه ، فلا يفترقون بل يبقون في القاهرة يعملون طول الخريف وطول الشتاء وطول الربيع ، ولا يتفرقون في الصيف الا كارهين !